

البُعدُ الوظيفي للمصطلح اللساني دراسة لواقع المصطلح العربي في ضوء المنجز الأجنبي

**The functional dimension of the linguistic term A study of the reality
of the Arabic term in light of the foreign achievement**

dr. aziz.kaouache د. عزيز كعواش

جامعة محمد خيضر - بسكرة

aziz.kaouache @univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2020 /01 /09 تاريخ القبول: 2020/06/07

الملخص:

إن المصطلح علامة لغوية خاصة تقوم على ركنين أساسيين؛ الشكل (Forme) أو التسمية (dénomination)، والآخر المعنى (Sens) أو المفهوم (Notion) أي الوصف اللفظي للتصور الذهني. ويتناول علم المصطلح (Terminologie) بنية المصطلحات ومدلولاتها واشتقاقاتها المعجمية، وتطوراتها الدلالية إلى غاية استقرارها الاصطلاحي، وانتقالاتها بين الحقول المعرفية المختلفة. وهذه الدراسة قد تخصصت في البحث عن واقع وظائف المصطلح اللساني بين الدراسات الغربية والعربية. حيث انتهت الدراسة إلى توصيف المنجز العربي في مقابل المنجز الغربي، والذي يترجم مصطلحات هذا العلم عن اللغات اللاتينية ترجمة منفردة وشخصية قد تبتعد عن ذلك المركز المنهجي الذي يجمع الروابط التوأمية بين مكونات علم اللسانيات كما هو في الأبحاث الغربية، فضلا عن الانصراف عن روح التراث اللغوي العربي أثناء المعالجة. ولن يتم جبر هذا الشرح المصطلحي ما لم يوجد تنسيق وتعاون ممنهج بين طرفي المعادلة؛ المشتغلون باللسانيات واللسانيات العربية وعلماء اللغة العربية الممثلون في شتى الهيئات العلمية.

الكلمات المفتاحية: مصطلح - أبعاد - علائق - وظيفية - منهج.

Abstract

The term is a special linguistic sign based on two main pillars; Form (dénomination), the other meaning (Sens) or concept (notion), that is, the verbal description of mental perception. Terminologie deals with the structure of terms, their meanings, lexical derivations, semantic developments to the term of idiomatic stability, and their transfers between different cognitive

fields. This study has specialized in searching for the reality of the functions of the linguistic term between Western and Arabic studies. Where the study ended up describing the Arab achievement in comparison to the Western achievement, which translates the terminology of this science from the Latin languages, individually and personally, that may depart from that methodological basis that combines the communication links between the components of linguistics as is the western research, as well as a departure from the spirit of the Arab linguistic heritage during Treated. This term crack will not be compensated unless there is systematic coordination and cooperation between the two sides of the equation; those working in Arabic linguistics, linguistics, and Arabic linguists represented in various scientific bodies.

Key words: After, relational, communicative, functional, systematic.

مقدمة

يمثل المصطلح العلمي في الميادين العلمية كلّها الحالة العملية لمضمونه، فما من أمة إلاّ وتحكمها مصطلحاتها العلمية أو الفنية التي تتناولها في التعامل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي. فكانت تنتشر في واقع الناس مصطلحات شتى العلوم كالصناعة والزراعة، ومصطلحات الطب والصيدلة والفيزياء وعلوم النبات والحيوان، ومصطلحات الهندسة والكهرباء والإلكترونيات، وغير ذلك من مصطلحات العلوم والأدب ونواحي الحياة المختلفة. ومع الحاجة الملحة التي أوجدها التطور الهائل في شؤون المعرفة الإنسانية في العصر الحديث، نشأ علم المصطلح للتعبير عن هذا الانفجار المعرفي والبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها.

والمصطلح وحدة لغوية أو عبارة لها دلالة لغوية أصلية، حيث تتحول هذه الوحدة أو العبارة لتحمل تسمية اصطلاحية خاصة محددة في ميدان معين لعلاقة ما ترتبط بين الدلالة اللغوية الأصلية والتسمية الاصطلاحية الجديدة. ولم تشترط بعض المدارس المصطلحية التي حدّدت معنى الاصطلاح أن يكون المصطلح وحدة أو عبارة، بل اكتفت بالقول أنه شيء أو رمز. مما يدلّ على أن أصحاب هذه المدارس كانوا يعدّون الرموز الرياضية والهندسية وأمثالها من قبيل المصطلحات.

إنَّ أشدَّ ما يُميّز به المصطلح عن غيره من قواعد الاصطلاح مخالفته لما يُعرف بـ "المفهوم"، وهو من أكثر جوانب علم المصطلح جدلاً ونقاشاً لصلته الشديدة بالدلالة المنطقية واللغوية. وإن كان علماء الاصطلاح قد أجمعوا على وجوب اقتصار المصطلح الواحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد. بيد أنَّهم على مستوى التّطبيق الإجرائي قد اختلفوا اختلافاً بيّناً لشدة ارتباط المفهوم بالثقافة اللغوية وفلسفتها من جهة، وعلم المنطق كأحد أبرز معالم علم المصطلحية من جانب آخر، وهما مما قد يفتقدهما كثير من الباحثين. فـ "المفهوم" مصطلح تقاطع النَّاس على فهم معين ومحدّد له، فأصبح معروفاً في دلالاته بين المتداولين له بحيث لا ينصرف الذّهن إلى غيره، فهو تصور عقلي عام مادي أو مجرد حول موقف أو حادثة أو شيء ما. سواء أكان مفهوماً مادياً ندرك معه الأشياء المتصورة من طريق الحس، أو مفهوماً مجرداً كمجموع الأفكار المكتسبة في صورة رموز أو تعليمات بتجريدات معينة.

والمصطلح العلمي اللساني هو واحد من تلك المصطلحات التي شغلت اهتمام اللغويين والباحثين في الميادين اللسانية المختلفة. وكثر حوله النقاش والجدال باعتباره مصطلحاً قرين التجديد والابتكار، وباباً من أبواب الكشوف العلمية. وقد جلبت البحوث والدراسات اللسانية الحديثة معها زخماً هائلاً من المصطلحات الجديدة نتيجة بروز علم (Linguistique).

وقد شهدت فترت القرن الماضي ثورة لسانية أثارت إشكاليات عديدة، ولعل أهمها على مستوى الدرس العربي التأسيس لمصطلح لساني لغوي ونقله إلى اللغة الأم، وهذا الذي يفسر ظهور الكثير من المصطلحات الجديدة التي لم يألفها المعجم العربي الحديث، وقد تعاملت القطاعات الأكاديمية مع الظاهرة المصطلحية الجديدة من خلال الترجمة، ولعل التعامل مع المصطلحات الجديدة على مستوى السياق قد أسس لمشكلات مستعصية على مستوى البحث اللغوي العربي.

والملاحظ أن المصطلحات اللسانية ظَلَّتْ متشعبة نسبياً، ولكن على الرغم من ذلك فإن اللسانيين الغربيين المحدثين يجتمعون على أغلب تلك المصطلحات، نتيجة للأعمال الجادة والمنهج العلمي الدقيق الذي سيطر على علم اللسانيات. وخلاف ذلك ما يحدث مع اللسانيين العرب أثناء انجازهم للمصطلحات اللسانية العربية. فالتأخر في واقع تلك الجهود اللسانية الحديثة يتملكه الدهش من كثرتها وتعددتها وهي تعرب عن المعنى الأجنبي الواحد، ومن اختلاف تعبيراتها وصيغها اللغوية وتناقضها وتضاربها وخطئها في أحيان كثيرة. وهي حالة جعلت معها الدرس اللساني العربي مهمل الأركان والقواعد غامض الهدف معدوم الفوائد شديد التنافر بين مستوياته وقطاعاته، لا يكاد يجتمع أهله لمناقشة نموذج لساني حديث أو معاصر حتى يتفرقوا حوله.

ولأجل كل ذلك، كانت إشكالية هذه الدراسة والتي قد نوجزها في مدى توصيفنا لنماذج لسانية مختارة على كثرتها وامتدادها الزمني والجغرافي من واقع الدرسين الغربي والعربي في مجال وظيفية المصطلح العلمي اللساني، وما مدى عمق الهوة بين الدرس اللساني العربي وواقع آلية من أهم آلياته البحثية وأدواته المنهجية المنجزة وهي " المصطلح ". وقد اتبعنا في هذه الدراسة منهج الوصف مع آلية التحليل وهو الأليق بسياق المناقشة والتحليل لعناصر هذا الموضوع.

صور عن العلاقات الوظيفية والمعرفية بين مكونات مصطلح " linguistique " الغربي الحديث:

أدرك الغربيون أن دراسة علم المصطلح يشكل موضوعاً جوهرياً داخل الحقل اللساني، بحكم المكانة الهامة التي يحتلها هذا العلم في بناء شبكة من العلاقات التواصلية الوظيفية بين كل المكونات التي تعمل على تطوير الدرس اللغوي الحديث.

ولأجل غاية منهجية قد أعمدُ ضمن هذا السياق إلى اجترار تعريفات مصطلح " اللسانيات " الأجنبي، وأبين تفاصيل ماهيته وكنه دلالاته اللغوية وما يميزه عن سواه من

المصطلحات الأخرى الشائعة عصرئذ. وغايته أن تتمّ لي جودة في مقارنة آتية لجهد اللسانيين العرب حين أقدموا على تعريب هذا المصطلح. فكّم من العناء والاختلاف تلقاه الدارسون أثناء ترجمة مصطلح لساني واحد؟ وماذا حلّ بنا من العناء أيضاً حين أقبلنا على تعريب أخوات هذا المصطلح اللساني الأخريات؟

1- البعد الوظيفي لمصطلح Linguistique الأوروبي

يعود مصطلح (Linguistique) اللسانيات أو علم اللّغة والمصطلحات الأوربية المقابلة (Linguistique) بالفرنسية و (Linguistics) بالإيطالية إلى الكلمة اللاتينية (Lingua) بمعنى اللسان أو اللّغة، وقد شاع استعمالها في اللّغات الأوربية في النّصف الثّاني من القرن 19، وتحدد معناها بتقديم علم اللّغة في القرن العشرين (عكاشة، 2006، صفحة 9). ويشير جورج مونان (Georges Mounin)³ إلى أن أول استعمال لكلمة لسانيات كمصطلح (Linguistique) كان في سنة 1833. أمّا كلمة لساني (Linguiste) فقد استعملها رينوار Rainwouard سنة 1816 في مؤلفه "مختارات من أشعار الجوّالة" (مومن، 2005، صفحة 5).

كما وُظف مصطلح (Linguistique) في سياقاته الأوربية مرادفاً لمصطلح النحو (Grammar أو Grammaire)، فيقال في البحوث الانجليزية النّحو التّاريخي (Historical Grammar) تارة واللّسانيات التّاريخية (Historical Linguistics) تارة أخرى، و يقال النّحو الوصفي (Descriptive Grammar) أحياناً واللّسانيات الوصفية (Descriptive Linguistics) أحياناً أخرى إلخ (مومن، 2005، صفحة 7).

- جورج مونان (1910 - 1993 م): لساني فرنسي، أستاذ علم اللغة الحديث والسيمولوجيا بجامعة³ مارساي الفرنسية، مهتم بدراسة اللّسانيات الفرنسية مع اللّساني الفرنسي أندريه مارتينييه. ترك كثيراً من المؤلفات في مجال تاريخ اللسانيات وماهيتها، كما بحث في فروعها ومشاكل اللسان البشري.

وتقدم دائرة المعارف البريطانية مصطلح (Linguistique) بأنّه الدّراسة العلمية للغة، وأن الكلمة أُستعملت في أواسط القرن التاسع عشر. كما عرّفت الموسوعة الأمريكية المصطلح بالمفهوم نفسه، وقد عمّمت وظيفته وطبّقته على معنى فقه اللّغة أيضاً بقولها «و في القرن العشرين سمّيت هذه الدّراسة نفسها Linguistics» (طليّعات، 2000، صفحة 15).

كما وضع الأوربيون مقابلاً لمصطلح فقه اللّغة وهو (Philology) والذي يدلّ على معنيين (Philos) بمعنى الصداقة و (Logs) بمعنى الكلام، والمعنى الكلّي هو حبّ الكلام أو اللّغة الذي يدفع إلى فقهها أو علمها. وهذا يدلّ على أن الأوربيين قد فهموا هذا المصطلح فهماً خاصاً، فالكلمة إغريقية الأصل وهي عندهم في سياق وظائفها العلمية تعني:

. معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه.

. دراسة لغة معينة وتحليل نصوصها تحليلاً نقدياً.

. الدّراسة الشّكلية للنصوص في المخطوطات المختلفة التي انتهت إلى الدّراسات الغربية. (شاهين، 1993، صفحة 6).

أمّا المعاني التي حدّدت للمصطلح الأوروبي المتداول Linguistique فقد رتّبت ترتيباً تاريخياً حسب وظائفها أيضاً وهي: (شاهين، 1993، صفحة 7)

. الدّراسة المقارنة و التّاريخية للّغات كالنّحو المقارن والفيلولوجيا المقارنة .

. العلم الحديث الذي موضوعه اللّغة في ذاتها ولذاتها (وهو مفهوم دي سوسير).

ومن هنا يبرز الفرق الواضح بين المصطلحين "فقه اللغة" و"علم اللغة" في الاستعمالات الأجنبية؛ ففقه اللّغة (Philology) تتحدد وظيفته في دراسة اللّغات إلى جانب دراسة الثّقافة والتّاريخ والتّقاليد والنّتاج العلمي لهذه اللّغات. أمّا علم اللّسانيات (Linguistique) فتتبعين وظيفته في دراسة اللّغة نفسها مع تركيزه الشّديد على اللّغات

المنطوقة أكثر من المكتوبة. وقد يتَّجه أحياناً هذا المصطلح إلى معاني توحى بإشارات عابرة إلى قيم ثقافية وتاريخية لتلك اللغات. ومن الملاحظ أيضاً أنَّ مصطلح Linguistique قد « حلَّ محلَّ مصطلحات قديمة مهمة مثل : (Sciences of language ، Sciences Linguistics) ». (النجار، 2006، صفحة 31)

كما يلاحظ أنه ومنذ الستينيات من القرن الماضي وإلى اليوم قد توقف السجل حول دلالة هذا المصطلح اللغوي في الدرس اللساني الغربي، وضبطت ماهيته الاصطلاحية وحددت وظيفته المنهجية وغايته المعرفية لينحاز الناطقون باللغات الأوروبية إلى مصطلح (Linguistique) وصار المتداول عالمياً باعتباره علماً للسان البشري وظواهره يؤدي مهام علمية محددة.

2 -البُعد الوظيفي والمعرفي للمصطلحات المؤسسة لعلم Linguistique

نعمد في هذا الجانب من الدراسة الإشارة إلى الرؤية المتناسقة للعمل المصطلحي ضمن المدرسة الواحدة عند اللسانيين الغربيين مؤسسين وأتباعا ودارسين، فنذكر مصطلحات لسانية ببعديها المعرفي والوظيفي قد شاعت في إطار هذه الدراسات، وتبنّاها لسانيون أوروبيون وأمريكيون من خلال تأسيسهم لعدّة مدارس واتجاهات لسانية شكّلت في إطارها الخاص شبكة من المصطلحات المعبرة عن اتجاهات فكرية محددة. أما في إطارها العام فشكّلت مدارس لسانية مصطلحية تكون على الدوام المرجعية السليمة للبحث في مجال علم المصطلح. لقد حقق المصطلح الأوروبي اللساني عن وعي ودراية غاية اللسانيات الغربية، وهو البحث اللغوي في إطار التّواصل المنهجي والعلمي بين أجزاء الظاهرة اللسانية العامة موضوع الدراسة. وفيما يلي نماذج وعينات من واقع الدرس اللساني نعتقد أنها ممثلة لما سنقوم به من عرض لتلك الرؤى المتناسقة والمشار إليها عند من أسسوا لمصطلحات هذا العلم:

2- 1 - فرديناند دو سوسير (Ferdinand Desaussure) والضبط المصطلحي في

المدرسة السّوسيرية:

بدأت اللّسانيات تشقّ طريقها في بداية القرن 20 متخذة من العلمية (Science) متّجهاً لها في الدّرس والتحليل، وتزامنت بحوث اللّغة مع نشاط فرديناند دي سوسير عالم اللّغة السّوسيري ورائد علم اللّغة الحديث. ويرتبط اسمه بـ "البنوية" منهجاً، حيث تحول على يده موضوع علم اللّغة الوحيد والصحيح إلى دراسة اللّغة بذاتها و من أجل ذاتها.

وكانت جلّ أعمال دي سوسير منصبّة على اللّسانيات التّاريخية ثم الوصفية، فكان أول من ميّز بين اللّسانيات التّزامنية Synchronique واللّسانيات التّاريخية Diachronique، فبدأ بالجراماتيكا المقارنة وانتهى إلى إقامة مبادئ علم اللّسانيات الحقيقي. كما انصبّ جهد دي سوسير التّظري على استخدامه لظاهرة ملفّقة للانتباه تمثّلت في "المقابلات" أو "الثنائيات" Dichotomies التي أقامها في صرح الحقل اللّغوي، كثنائية الدّال والمدلول، ومحوري التّعاقب والتّزامن إلخ (سوسير، 1985، صفحة 9). وكان الإطار المصطلحي اللّساني لدرس اللّسانيات قد لاقى عناية كبيرة من دي سوسير، حيث ركز على أن يقيد لكل مفهوم لغوي جديد مصطلحاً جديداً محدداً له مجاله ووظيفته ضمن النّسق اللّساني العام. فكانت اجتهاداته اللّغوية ورؤاه الجديدة في ميدان الذي ورّث قدراً من المصطلحات قد أحكمت بسوار من المصطلحات سرّعت عملية استيعاب النظرية الجديدة، ودفعت إلى يسر قراءة ما وراء المفاهيم اللّغوية المستحدثة التي عرضها دي سوسير. فعلى سبيل المثال استطاع أن يفرّق بين ثلاثة مصطلحات في دراسة اللّغة؛ أولها اللغة Language أو الملكة اللّغوية، حيث يرى أنّ هذا المصطلح يشير إلى ظاهرة إنسانية لها أشكال كبيرة ومتضاربة تنتمي إلى مجال فردي وآخر اجتماعي. والثاني اللّسان Langue فهو ظاهرة عامّة يحتوي الجانب الفردي

والجانب الاجتماعي ويشكّل نظاماً متعارفاً عليه داخل مجتمع محدّد. أمّا المصطلح الثالث فهو الكلام Parole وهو إنتاج المادّة التي يبني منها اللّسان. (شنوقة، 2008، الصفحات 51-52).

ومن بين النتائج التي توصل إليها سوسير من خلال دراسته لمصطلح اللّغة، أنّها تتكوّن من وحدات أساسية متوافقة بينها تسمّى بالعلامات اللّسانية (Signes)، حيث تتكوّن من عنصرين اثنين؛ صورة سمعية تتمثّل في الأثر النّفسي للسلسلة الصوتية المدركة بالسمع. ومفهوم يتمثّل في مجموع السّمات الدّلالية التي تحيل إليها الكلمة. فالعلامة اللّسانية عنده كلّ متكامل (الصورة السمعية + المفهوم) (زروق، 2011، صفحة 17). وقد قام باستبدال مصطلحي المفهوم والصّورة السمعية بمصطلحي الدّال Signifiant والمدلول Signifie ونادى باعتباطية هذه العلامة اللّسانية.

وهناك ثنائيات أخرى كالعلاقات التّركيبية Syntagmatic Relatios، والعلاقات التّرابطية Paradigmatic Relations، والقيمة اللّغوية La Valeur، والسميّاء، واللّسان والشكّل، واللّسانيات السّكونية واللّسانيات التّطوّرية، وغير ذلك من المصطلحات الكثيرة التي ابتكرها دي سوسير في درسه اللّغوي الحديث.

لقد كانت نتيجة هذا التّحديد الدّقيق لمفاهيم هذه المصطلحات، أن اتجه النّقاش بعد ذلك لا إلى الوقوف طويلاً مع كل مصطلح، وإنّما دفع دي سوسير بالعملية اللّغوية إلى محاولة التّفاعل الدّاتي واستنساخ المزيد من المفاهيم والمصطلحات والآليات من طريق التّظر والبحث في الظاهرة اللّغوية، بما يحقق تقدماً يتماشى والغرض من علم اللّسانيات.

2.2- مدرسة براغ واسهاماتها المصطلحية:

أ - فيلام ماثيسوس (Vilèm Mathesius)⁴: مؤسس مدرسة براغ اللسانية، وهو واحد من ألمع علماء اللسانيات. نشر ندائه الأول لمنهج جديد غير تاريخي لدراسة اللغة بعنوان " حول كمونية الظواهر اللغوية " " On the potentiaty the phenomena of language ". (مومن، 2005، صفحة 139) ومن إسهاماته في المصطلحات اللسانية تمييزه بين مصطلحي الموضوع Theme والخبر Rheme. حيث يرى أن الجملة تنقسم إلى قسمين؛ الموضوع والذي يدلّ على شيء يدركه السامع لأنّه غالباً ما يذكر في الجمل السابقة، والخبر يدلّ على حقيقة جديدة تتعلّق بالموضوع المذكور، أي أنّ الموضوع هو الاسم الذي تخبر به الجملة. كما قام فيلام ماثيسوس بتطوير منظور الجملة الوظيفي ودرسه تحت مصطلح (Functional Perspective Sentence)، وطبّقه على اللغة التشيكية واللغة الانجليزية وبعض اللغات الأوربية المعروفة. (مومن، 2005، صفحة 140)

ب - الأمير نيكولاي تروبتسكوي (Pince Nicolay Trubetzkoy)⁵ والمصطلحات الفونولوجية: يعد من أبرز أقطاب "مدرسة براغ الوظيفية"، وقد برع في ميدان الصّوتيات الوظيفية أو الفونولوجيا من خلال " مبادئ الفونولوجيا ". حيث درس حوالي مائتي نظام فونولوجي، وقد تمخّضت هذه الدّراسة عن تأليفه لكتاب أطلق عليه اسم " الفونولوجيا " ركّز فيه على دراسة الفونيم Phoneme باعتباره المحور

⁴ - فيلام ماثيسوس (1882م - 1945م) من مؤسسي مدرسة براغ اللسانية، ومن ألمع العلماء في اللسانيات واللغة والأدب الانجليزي، شغل منصب أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة كارولين الأمريكية، وكان ندائه الأول حول منهج جديد غير تاريخي، سنة 1911م حين نشر مقال بعنوان " حول كمونية الظواهر اللغوية "، من أهم الأبحاث التي قام بها استعماله للدراسة الوظيفية للتمييز بين النحو والأسلوبية.

⁵ - نيكولاي تروبتسكوي: (1890م - 1938م) عالم لغوي متخصص في اللسانيات وأحد مؤسسي حلقة براغ اللغوية، روسي من أسرة عريقة. اشترك تروبتسكوي مع اثنين من علماء اللغات هما التشيكي فيلم ماثيسوس والروسي رومان ياكبسون في تأسيس حركة براغ اللغوية التي ظهرت عام 1926م المهتمة بدراسة أصول اللغات ونشأتها واللسانيات البنيوية والمقارنة، وفي عام 1930 انتخب تروبتسكوي عضوا في أكاديمية العلوم في فيينا. ترك تروبتسكوي عددا من المؤلفات أهمها " أسس الفونولوجيا ".

الأساس في علم الفنولوجيا، إذ يمثل أصغر وحدة فنولوجية في اللسان المدروس.
(زروق، 2011، الصفحات 47-48)

ومن أهم انجازاته المصطلحية ما أسماه بالسّمات المميّزة Distinctive features ، حيث طبّقها على التّحليل الصّيائي Phonological Analysis . ومن أثر هذا الإنجاز المفهومي والمصطلح اللّساني أن « طبّقها جاكبسون على الصّرف، وأفاد منها علماء الدّلالة ولاسيما في نظرية الحقول الدلالية Semantic fields » . (يونس، 2004، صفحة 76)

وإلى جانب الوظيفية التّمييزية ساق وظيفة أخرى و هي الوظيفة المحددة Demarcative Fuction الناشئة عن استخدام السّمات فوق المقطعية Suprasegmental Features التي تتعلّق بسلسلة صيائية مكوّنة من صوتين فأكثر، كالنّبر Sress والنّغمة Tone والطّول Length.

كما تطرّق تروبتسكوي إلى دراسة مختلف أنواع التّضاد الفنولوجي في إطار مجموعة من المصطلحات العلمية القارة، وذهب يحدد من خلالها تعريفاً علمياً لمصطلح الفونيم Phoneme. وتناول التّضاد السّالب Privative Opposition والتّضاد التدريجي Gradual Opposition والتّضاد المتكافئ Equipollent Opposition. (مومن، 2005، صفحة 144) فكان هذا المصطلح يتطابق مع المصطلح الأمريكي الحالي علم الفونيمات Phonemics إلى غير ذلك من الإنجازات المصطلحية التي قام بها تروبتسكوي في حقل الفنولوجيا وفي إطار مصطلحي متماسك يعبر كل جزء منه عن فكرته اللّسانية العامة.

ويُعدّ كتاب الأمير نيكولاي تروبتسكوي "مبادئ الفنولوجيا " ومن خلال المصطلحات العلمية المصدر الأساس لإيضاح منهجه الوظيفي في دراسة الأصوات. وهو الكتاب الذي شمل عددا من المصطلحات المعرفية الدّقيقة المعبرة عن عمق الفكرة التي

أردها تروبتسكوي. كما أولى الرّجل اهتماماً كبيراً بالعلاقات الاستبدالية بين الأصوات، فوازن بينها معتمداً على السّمات التي تميّز أحداها عن الأخرى. (مومن، 2005، صفحة 77)

ج - رومان جاكبسون (Roma Jakobson)⁶ أبو المصطلح اللساني الوظيفي: يعد عالماً من أعلام مدرسة "براغ الوظيفية" حيث اهتم منذ صغره باللغة واللهجات والفلكلور، اتّسمت بحوثه الصّوتية والصّرفية والإنشائية بمخاض البنيوية التي تبلورت في خضمّها عنده أهم المنطلقات الأساسية لعلاقة البحث اللساني الوصفي بالتعاقبي التطوّري التّاريخي. وهو صاحب نظرية وظائف اللغة التي تقوم عنده على مصطلحات لها دلالات ووظائف محددة في شكل عناصر وهي: (شنوقة، 2008، صفحة 71)

- المرسل Destinateur . المرسل إليه Destinataire . الرّسالة Message . مقتضى الحال أو السياق Contexte . شفرة الاتصال Contacte .
كما استعان رومان جاكبسون في تحديده لوظائف اللغة بالنّمودج الذي يستعمله مهندسو الإعلام والاتصال في توضيحهم لدورة الخطاب أو التّواصل، كما أنّه ألحّ على الطّابع الوظيفي للغة والذي لا بد أن يشمل الحالة الآنية والتّاريخية معاً. لكنه ضبط كل ذلك وفي كل مرة بعناوين في صور مصطلحات محكمة المفهوم واضحة الدلالة بينة المرجع كما هي عادة الغربيين ولاسيما في بدايات الدّرس اللّغوي الحديث.

⁶ - رومان جاكوبسون (1896 – 1982 م): عالم لغوي وناقد أدبي روسي من رواد المدرسة الشّكلية الروسية، وقد كان أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة والأدب.

د - أندريه مارتيني (André Martinet)⁷ رائد المصطلح اللساني الفرنسي:

أشهر اللسانيين الفرنسيين المعاصرين، شارك في أعمال نشاطات "نادي براغ اللساني"، وتابع تطوّر نظرية الرياضيات اللغوية (الغلوسيماتيك (Glossematique). كما ساهم في إزالة الفصل بين علم الأصوات Phonétique المنسوب إلى العلوم وبين علم الأصوات الوظيفي Phonolog المنسوب إلى الدراسات الإنسانية، لأنه عدّ الأصوات نوعاً من الصوتيات الوظيفية. (شنوقة، 2008، صفحة 72)

ومن أهم المصطلحات اللسانية التي جاء بها أندريه مارتيني عقب دراسته لمجموعة من اللغات التقطيع المزدوج (double) Articulation، ويطلق هذا المصطلح اللساني على التنظيم اللغوي للإنسان، فهو إحدى الخصائص التي تتميز بها اللغة البشرية عن غيرها من الوسائل التعبيرية الأخرى، حيث يتم فيه تحليل الوحدات اللغوية إلى مستويين:

التقطيع الأولي: يتكوّن من وحدات دالة (مونيمات Monèmes).

التقطيع الثانوي: يتكوّن من وحدات غير دالة (وحدات صوتية) تتمثّل أصغرها

في الحروف (فونيمات Phonèmes). (شفيفة، 2004، صفحة 19)

وقد ورد عند أندريه مارتيني في مؤلفه "اقتصاد التغيّرات الصوتية" الذي يعدّ أعظم عمل له في الفنولوجيا الزمانية أن الاقتصاد اللغوي (L'économique Linguistique) هو النتيجة المتحصّل عليها من خلال عملية الاتصال اللغوي، وتتمثّل في تبليغ معاني كثيرة بأقل جهد عضلي و لغوي ممكن. (بوطارن، 2008، صفحة 157) ولما كانت المدرسة الوظيفية ترى بأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل فقد اهتمت بهذا

⁷ - أندريه مارتيني (1908 - 1999م): هو لغوي، وأستاذ جامعي فرنسي، وكان عضواً في مدرسة براغ اللغوية وجمعية اللغة الحديثة، له العشرات من البحوث اللسانية البنيوية، توفي عن عمر يناهز 91 عاماً.

الجانب (الاقتصاد اللّغوي) باعتباره من أهم المبادئ التي تركز عليها الوظيفية في التحليل اللّغوي. كما قسّم أندريه مارتني الجملة إلى قسمين في تحليله اللّغوي عبر عنهما بالمصطلحات التالية: (بوطارن، 2008، صفحة 157)

- الرّكن الإسنادي : (Le Pyntagme Prédicatif) الأساس الذي يبنى عليه التركيب، ويتألف من عنصرين المسند إليه Prédicat يحمل مضمون الكلام، و المسند وقد أطلق عليه مارتيني مصطلح المنجز Actualisateur .
- ما زاد عن الرّكن الإسنادي :و يسمّيه إلحاق Expansion وهو قريب من مصطلح الفضلة عند العرب.

2 - 3 - لويس هلمسلف (Luis Hjelmslev)⁸ المصطلح اللساني والوظائف الرياضية في المدرسة الجلوسيماتيكية:

من مؤسسي مدرسة "كوبنهاغن" بالدنمارك، صاحب النّظرية البنيوية التّحليلية الشهيرة الرياضيات اللغوية Glossematique، و يعود له الفضل في إنشاء هذه النّظرية مع أولدل (Hanzjorgen Uldan) حين اقترحا تسمية النظرية الجديدة بمصطلح علم الفونيمات Phonématique . إلا أنّ رغبتهم في التميّز عن مدرسة "براغ" جعلتهم يخلقون مصطلحاً آخر للنظرية وهو الغلوسيماتيك (مومن، 2005، الصفحات 157 - 158).

⁸ - لويس هلمسلف (1899.1965): صاحب المؤلّف الشهير "مقدمة في نظرية اللغة"، و الذي يعتبر من أهم وأبرز مؤسسي المدرسة الدانماركية نظرا للخدمات الجليلة التي قدمها في سبيل بلورة المبادئ العامة لهذه المدرسة. و تقوم هذه المدرسة على النّظرية المنطقية للغة. حيث اعتبرت اللغة نظاما صوريا يقوم على المنطق خاصة.

وكان ميل هذه النظرية إلى استعمال مصطلحات قديمة بمعانٍ جديدة «
فمصطلح غلوسيماتيك Glossematics مشتق من الكلمة الاغريقية glossa التي تعني
اللغة، وتهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات Glossems أي الوحدات النحوية
الصغرى التي لا تقبل التجزئة. وتنقسم بدورها إلى قسمين: وحدات التعبير وتدعى "
سوانم "Cenemes، ووحدات المحتوى وتدعى "مضامين "Pleremes».

ومن المصطلحات اللسانية التي تناولها هيلمسلف في نظريته: مستوى التعبير
Expression Plane، النص Text، مستوى المضمون Content، المتغير Variant،
النظام System، النمط Schma، التحليل Analysis، التحفيز Catalysi (مومن،
2005، صفحة 160) وغير ذلك من المصطلحات المبتكر في هذا المجال اللساني الحديث.
كما قام لويس هلمسلف باستبدال ثنائية اللغة والكلام عند دي سوسير بثنائية
أخرى أطلق عليها النمط Schma والنص Text أو الاستعمال Usage. كما استبدل
ثنائية الدال والمدلول بثنائية مستوى التعبير Expression Plane ومستوى المحتوى
Content Plane تربطهما علاقة لغوية Linguistic Sign.

إلا أنّ ما لاحظته الدارسون عن الطبيعة المصطلحية لما قدمه هيلمسلف وأتباعه
أنهم لم يطوروا نظريتهم الغلوسيماتيكية في اتجاه بلورة ألسنية ميسرة لتفسير اللغة،
بل ما فعلوه هو تطوير نحو تعقيد المصطلحات اللسانية مع الغموض الشديد في
مفاهيمها وندرة في شرح أفكارهم، الأمر الذي أبقى النظرية بمصطلحاتها في زاوية
الغموض والإهمال.

2 - 4 - ليونارد بلومفيلد (Leonard Blomfield)⁹ مؤسس المصطلح اللساني

في المدرسة البنائية الأمريكية:

تناول أصحاب هذه المدرسة مصطلحات عديدة تدخل في السلوك الإنساني، وقد قاموا بشرحها وترجمتها إلى لغة تتضمن حالات فيزيولوجية مثل مصطلح الإرادة الشعور والفكرة والانفعال إلخ، كما نجد في دراسات بلومفيلد اللغوية مصطلحات مثل المثير Stimulus والاستجابة Response والمثير البدلي Substitute Stimulus والاستجابة البدلية Substitute Response (السعران، 1990، صفحة المقدمة).

وفي اللسانيات السلوكية يعد مفهوم مصطلح التوزيع Distribution هو منطق التحليل اللساني في المدرسة الأمريكية الوصفية، والتوزيع مفهوم مرتبط بالموضوع الذي توجد فيه الكلمات أي كل ما يحيط بها يميناً وشمالاً، فتتحدد كل كلمة بالموضوع الذي تظهر فيه داخل الجملة. (شفيفة، 2004، صفحة 25)

كما نجد مصطلحات كثيرة أخرى كمصطلح المورفيم Morfphème ويعبر عنه التوزيعيون بمصطلح LeMonème . ومصطلح مؤلف Consitituant ويطلق عند التوزيعيين على كل مورفيم. إذ مصطلح المورفيم هو مصطلح ترتيبي عند التوزيعيين يشمل كل الوحدات التي تدل على معنى نحوي. وغير ذلك من المصطلحات الكثيرة التي ساقها بلومفيلد وأصحابه لتأطير اللسانيات السلوكية الأمريكية والتي لا يتسع المقام لسردها جميعاً.

⁹ - ليونارد بلومفيلد (1887 - 1945 م): مؤسس المدرسة السلوكية اللغوية الأمريكية، وأحد أشهر علماء اللغة الأمريكيين وأهم الزواد في مجال اللغويات البنائية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. أشهر مؤلفاته كتابه " اللغة ".

2 - 5 - نعوم تشومسكي (Avran Noam Chomsky)¹⁰ رائد المصطلح

اللساني في المدرسة التفسيرية:

تشومسكي هو واضع النحو التوليدي التحويلي Transformtional Generative Grammar من خلال مؤلفه " البنى التركيبية " Syntactic Structure ، حيث اتبع في دراسته للغة منهجاً أطلق عليه القواعد التوليدية التحويلية. (مومن، 2005، صفحة 202) ويطلق مصطلح النحو التوليدي Generative Grammar عند تشومسكي على طائفة من القواعد التي تطبق على معجم محدود من الوحدات، فتولد مجموعة إما محدودة أو غير محدودة من الائتلافات المكونة من عدد محدود من الوحدات، بحيث يمكن بهذه القواعد أن نصف كل ائتلاف بأنه سليم في صوغه في اللغة التي يصفها النحو، وهنا يظهر مصطلح آخر وهو مصطلح السلامة النحوية Well formedness .

وقد ترتب عند هذا المنهج المستعمل في دراسته للغة استخدام مصطلحات عدة؛ مثل المتحدث المثالي Ideal speaker hearer الذي يفترضه اللساني اعتماداً على حدسه Intuition ، والكفاية اللغوية Linguistic Competence. وفي هذا السياق من النظرية التوليدية التحويلية ميّز تشومسكي بين مصطلحين لسانيين أساسيين عنده هما الكفاءة Competence والأداء Performonce. فالكفاءة تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد، أما الأداء فهو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية.

كما ميّز تشومسكي بين نوعين من البنى وعبر عنهما بمصطلحين شهيرين صارا علامتين على المفاهيم التوليدية و هما البنية العميقة Deep Structure وهي الأصل

¹⁰ - أفرام نعوم تشومسكي (1928 م): هو أستاذ اللسانيات وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والتي عمل فيها لأكثر من 50 عاماً. صاحب النظرية النحو التوليدي.

وأساس التركيب وتمثّل المستوى المجرد للبنية، والبنية السطحية Struture Surface وهي الجملة الناتجة عن التغيرات التي تحدث للجملة العميقة. (زروق، 2011، صفحة 85)

لقد اتّسمت أعمال تشومسكي بالتّوسع والتعمق واتسم معها مصطلحه اللّساني كذلك، إذ مرّت دراسته اللّسانية بمراحل متعاقبة يختبر فيها وفي كل مرة نتائج نظريته ثم يضيف لها وينزع عنها ما توافق وما لم يتوافق من تلك المبادئ. فكان أن تميّزت كل مرحلة بتطورها عن الأخرى مما أدى إلى ظهور تصورات ومفاهيم عديدة تحملها مصطلحات لسانية معبرة بذهنية الفيلسوف والرياضي عن مضامين ومفاهيم لسانية دقيقة. وقد لا يسعنا أن نذكرها كلها في هذا السّياق الاستدلالي، لكن لا بدّ أن نشير إلى أن مصطلحات قواعد توليدية التحويل لهذه النظرية قد بلغت ذروة عالمية لم تبلغها النظريات اللّسانية الأخرى، بحيث يستوحي المستمع عند وضعه للمصطلح الصحيح نظاماً لبنية لغوية معينة وهذه النظرة يمثلها تشومسكي خاصة. (الحيادرة، 2003، صفحة 97)

إن خلاصة إشكالية وضع المصطلح الأجنبي هي إشكالية منهج لا غير، ويميل إلى هذا الرأي فيلش (filch) فالمصطلحات في نظره تشكل دلائل على علاقات معينة بين اللفظ ومدلوله، ولا بدّ عنده من وضع المصطلح وتحديد الرابطة الذي يربط اللفظ بالمفهوم، كما ينبغي أن يكون العمل المصطلحي قائماً على منهج واضح المعالم. (الحيادرة، 2003، الصفحات 97 - 98) لقد أسس فيلش لمنهج مستقل في وضع المصطلحات، وهو منهج وظيفي تبنى عليه المصطلحات بحسب الوظيفة التي يمارسها المصطلح، وتتضح معالم هذا الاتجاه من خلال موقف فيلش من « مصطلحي الماضي والمضارع الذين اختلف المنهج في بنائهما، فبني الأول منهما باعتبار الزّمن الذي يتم فيه الحدث، وبني الثاني باعتبار عنصر المشابهة للاسم ». (الحيادرة، 2003، صفحة 98) لكن توجد مصطلحات

أخرى تتجاوز المنهج الوظيفي إلى مناهج أخرى متعددة تفرضها الوظائف التي تقوم بها تلك المصطلحات لتبني عليها. ذلك لأن وضع المصطلح يرتكز في تحديده إلى عدد من المحددات، والمنهج الوظيفي وحده لا يكفي لذلك.

المصطلح اللساني العربي بين التعدد اللغوي والدلالة الوظيفية:

قد يلاحظ الدارس العربي بدهاء اختلاف الغربيين حول تعريفهم للمصطلح اللساني كما اختلفنا، ولكنه يلاحظ أيضا أن الدارسين العرب لما حاولوا نقل تصورات ومفاهيم هذا العلم الجديد Linguistique بفروعه ووضع مقابل عربي له. لقد استغرق مناقشات طويلة وأحقابا من الزمن دون اتفاق، بل ما يزال من يلوك موضوع ترجمة مصطلح Linguistique الأجنبي ونقله إلى العربية من اللسانيين العرب مشرقا ومغربا، وكذلك الوضع مع كل وافد ووافد من مصطلحات النظريات الجديدة دون أن نحقق تقدما نحو موضوع اللسانيات أو موضوع مصطلحه.

كانت البداية مع ما أدركه علماء اللغة العرب المحدثون من أهمية لعلم Linguistique، وضرورة الإلمام بأسبابه إلماماً واسعاً، والإحاطة بنتائجه إحاطة شاملة بغية اللحاق بالدرس اللغوي الحديث وتوجيه العمل اللغوي العربي القديم. فأدى الاهتمام بالدرس اللساني العربي الحديث إلى بروز العديد من المؤلفات والكتب المعالجة لأهم القضايا والجوانب التي تمس هذا المجال. وقد ظهرت مؤلفات عربية تعريفية كثيرة خاصة في بداية التأليف في هذا العلم والتي تحمل مصطلح " علم اللغة " ، والذي يرى فيه كثير من الباحثين أنه ينسجم مع عناوين دراسات حديثة لها العناوين ذاتها مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأحياء إلخ. إلى جانب أنه يعبر عن مضمون المصطلح اللغوي linguistique (فضل، 2011، صفحة 58).

لكن توزعت المشارب والاتجاهات التي تبنت هذا العلم الجديد، مما انجرّ عن هذا الوضع اختلاف طويل وعميق وتباين بعيد وشديد. وكانت البداية حول ترجمة

المصطلح الحامل لعنوان هذا العلم ذاته (Linguistique) قبل غيره من المصطلحات. حيث بلغت المصطلحات المعربة والمترجمة لهذا المصطلح الأجنبي لوحده ثلاثة وعشرين مصطلحاً كما أوردها عبد السلام المسدي في كتابه "قاموس اللّسانيات". (لوشن، 2001، الصفحات 33 - 34)

والسبب في تعدّد المصطلحات اللسانية المترجمة للمصطلح الأجنبي راجع في أكثر الأحيان إلى تعدّد البيئات والثقافات المنشغلة بالدّرس اللّغوي الحديث، مع عدم التّسيق بينها. إلى جانب تعدّد التّرجمات وكذا عدم التّواصل فيما بين مختلف الأقطار العربيّة. كما كانت التّرجمات تقترب أحياناً وتبتعد أخرى وفقاً لوجهة نظر كل مترجم وثقافته ومدى معرفته وخبرته لطبيعة المجال اللّساني المخصص له هذا المصطلح.

وأوّل ما نشير إليه من النماذج عن هذا الاضطراب المصطلحي، تلك البدايات المؤسّسة الأولى للتّشاطر المصطلحي اللّساني الذي ظهر مطلع العقد الخامس من القرن الماضي مع تأليف علي عبد الواحد وافي كتابيه علم اللّغة وفقه اللغة. فنجدّه يستخدم المصطلح الأجنبي مكتوباً بالحروف العربيّة «ويطلق على جميع البحوث السّابقة ما عدا الفيلولوجيا بمعنيها الأخيرين وما عدا المورفولوجيا التّعليمي، والسّنتكس التّعليمي والسّتيلستيك التّعليمي اسم علم اللغة» (الحيادرة، 2003، صفحة 155). كما يرجع عبد الواحد وافي إلى التّراث ليربط المصطلحات الحديثة والمصطلحات التّراثية فيقول «هذا وقد وضع المؤلّفون من العرب أسماء تشبه بعض البحوث السّابقة، فوضعوا اسم الصّرف لبحوث من فصيلة المورفولوجيا التّعليمي، واسم التّحو لبحوث من فصيلة السّنتكس التّعليمي، واسم البلاغة لبحوث السّتيلستيك التّعليمي، واسم أدب اللّغة وتاريخ أدب اللّغة لبحوث من نوع الفيلولوجيا بمعنيها الأخيرين». (الحيادرة، 2003، صفحة 155)

ولم يكتف علي عبد الواحد وافي بهذا الحدّ، بل وضع للمصطلحات العربية مقابلات باللّغة الأجنبية واقتبس كثيرا من المصطلحات في كتابه " علم اللّغة " خاصة سنة 1946، ومحاولة ترجمتها ترجمة صحيحة كعلم اللّهجات وعلم المفردات وعلم الدلالة وعلم البنية وعلم الأساليب وعلم أصول الكلمات وعلم الاجتماع اللّغوي وعلم النّفس اللّغوي وعلم اللغة وغير ذلك. كقوله "الفونتيك Phonetique أو دراسة الأصوات، الديالكتولوجيا Dialectologie أو دراسة اللّهجات العامية، والسيكولوجيا اللّغوية Linguistique psychologie وهو دراسة العلاقة بين الظواهر اللّغوية والظواهر النّفسية بمختلف أنواعها، وبيان أثر كلّ منها في الآخر، والسّمانتيك Semantique أو دراسة اللّغة من ناحية الدّلالة، والسّوسولوجيا اللّغوية Sociologie linguistique أو علم الاجتماع اللّغوي وهو دراسة العلاقة بين اللّغة والظواهر الاجتماعية وبيان أثر المجتمع ونظمه وتاريخه وتركيبه وبنيته. (الحيادرة، 2003، صفحة 155)

وكذلك فعل إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللّغوية " عام 1947، وعبد الرّحمان أيوب في كتابه " أصوات اللغة " عام 1963، وكمال بشر في كتابه " علم اللغة العام " عام 1970، ومحمود فهمي حجازي في كتبه "علم اللّغة بين التّراث و المناهج الحديثة " عام 1970، و " علم اللّغة العربية " عام 1973، و " مدخل إلى علم اللّغة " عام 1978.

كما عمد بعض هؤلاء الباحثين إلى ذكر المصطلح بلفظه الأجنبي نحو اللانغويستيك و السيمانتيك والسانتيكس وغيرها، كتلك التّرجمات لكتاب " اللغة " لفندريس عام 1950، و " اللغة بين الفرد والمجتمع " لياسبرز عام 1954، و " اللّغة والمجتمع " للويس عام 1959، و " دور الكلمة " لأولمان عام 1962 و " دروس في علم الأصوات العربية " لكانتينو عام 1966 وغير ذلك. (قدور، بلا تاريخ، الصفحات 9 - 10) وهذا ما نجده عند محمد مندور في ترجمته لكتاب " علم اللّسان " لماييه

عام 1946 أيضا، والذي يختار مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية، بالإضافة إلى الالتزام بكتابة المصطلح الأجنبي على صورته واختيار مقابلا عربيا إلى جانبه محاولا التّمييز بينها. يقول محمد مندور: «وفي كلّ اللّغات تنقسم الحروف الصّامتة إلى منفجرة Occlusives؛ تتطلب وقفا تامّا لمرور الهواء الملفوض، وامتدادّة Continues؛ تصطبَح بحفيف الهواء في مجرى محصور، ينتج عنها تصفيق أعضاء النّطق عند أحد المخارج» (الحيادرة، 2003، صفحة 157). ونلاحظ أن محمد مندور يختار الصّفتين السّابقتين للأصوات ويرغب عن مصطلحي (الشديدة والرخوة).

كما نجد تمام حسان في كتابه "مناهج البحث في اللّغة" عام 1955، يسعى إلى استخدام المصطلحات التّراثية بالتّنقيب في التّراث اللّغوي العربي، وهو يحاول التّفريق بين المصطلحات العربية والمتقاربة نحو تمييزه بين النّغمة واللّحن فيقول «ونفرق هنا عمدا بين اصطلاح النّغمة واللّحن في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف هذه النّغمة بأنّها صاعدة أو هابطة أو ثابتة، ونقصد باللّحن مجموع النّغمات التي في المجموعة الكلامية؛ أي التّرتيب الأفقي للنّغمات التي يشتمل النّموذج أو الميزان عليها مع نظرة خاصة الى النّغمة المنبورة الأخيرة من هذا التّرتيب». (الحيادرة، 2003، صفحة 157) كما أنّ تمام حسان قد يربط المصطلحات التي تنتمي للعلوم القديمة بالمصطلحات الأجنبية إذ يرى أنّ المستويات الأربعة (النّحو، الصّرف، التّركيب والأصوات) يطلق عليه اسم الجراماتيكا (Grammar).

أمّا عبد السّلام المسديّ فقد ألّف كتابه "قاموس اللّسانيّات" متناولا فيه القضيّة الاصطلاحية ومراتب التّجريد الاصطلاحي والجهود العربيّة في المصطلح اللّساني، وقد اعتمد في ذلك على التّرجمة. (المسدي، الصفحات 19 - 20 بلا تاريخ) والأمر ذاته نجده في كتابه "مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات" إذ تناول في الفصل الثّاني والرّابع العلوم ومصطلحاتها وقضيّة قانون التّجديد الاصطلاحي، إذ يرى أنّ اللّساني العربي حينما »

يكتب بلغة أجنبية مدّعيًا افتقار المصطلحات فهذا هروب أمام مسؤولية العلم، وتنفصّ من حق لغته وأبنائها عليه» (المسدي، 1986، صفحة 17).

وفي خضم هذه الجهود الفردية التي رافقتها جهود أخرى كثيرة تعددت معها الجهات الواضحة بعد ذلك للمصطلح اللّساني العربي من مجامع لغوية ومؤسسات علمية ومعاهد مصطلحية وعلماء وأساتذة جامعات ومؤلفين، كان من حقّ اللّساني من هؤلاء بادئ ذي بدئ أن يؤسّس بعض المعايير في معالجة قضية الوضع ضمن مسألة المصطلحات العلمية وأبعادها شأن معيار الاستعمال؛ فالمصطلح يُبتكر فيوضع ويثبت ثم يقذف في حلبة الاستعمال فإمّا أن يروج فيثبت وإمّا أن يكسد فيمحي. ولكن مع عدم التّسيق بين تلك الجهات كان من الطبيعي أن تتعدد المصطلحات اللّسانية العربية المقترحة.

المنجز المصطلحي اللّساني العربي ومشكلة تعدد اللّغوي (الاصطلاحي) :

قد لا يختلف اثنان حول جلاله ما قدمه الباحثون المحدثون في مجال التّأليف والتّرجمة في موضوعات فقه اللغة وعلم اللّسانيات والتي قدمت خدمة جليلة للمصطلح العربي أفاد منها الدرس اللّغوي العربي الحديث بشكل كبير. ولكن في المقابل وبعد أن لقي الدرس اللّساني العربي اتّساعاً وانتشاراً ليشمل كافة الأقطار العربية، وبرزت اللّسانيات واللّسانيات العربية بمصطلحاتها كعلم مستقل بنفسه ليدرّس في الجامعات والمؤسسات والمعاهد العلمية، كما انتشرت موضوعات اللّسانيات ومصطلحاتها العربية والأجنبية في العديد من الرّسائل والمجلات اللّسانية، وبعد هذا الجهد اعترف الدّارسون بالتّقصير الشديد والتّأخر عن ركب اللّسانيات الحديثة، وخاصة فيما يخص وضع المصطلحات وضبطها.

تنوّعت الجهود المصطلحية اللّسانية العربية الحديثة كما تنوّعت مشكلاتها، واجه اللّغويون معضلة وضع وانتقاء واختيار المصطلحات التي يتناولونها في دراساتهم، وتجلت

الإشكالية التي وقع فيها اللّسانيون العرب رغم التّرجمات العديدة التي ساقوها للمصطلح اللّساني الأجنبي، وطرحت للتّفاش قضايا عديدة ومتنوعة تمس كلها جانب المصطلح اللّساني الذي بات يشغل أذهان الباحثين اللّغويين باعتباره مشكل المشاكل في الدّرس اللّساني العربي الحديث.

بل قد نذهب بعيدا في التّساؤل عن العلل التي دفعت إلى تعدّد الدلالة اللغوية العربية للمصطلح اللّساني الواحد وجدواها، وكيف وقفنا ونقف طويلا مع ترجمة المصطلح اللّساني الواحد حتى تأخرت الدّراسات العربية كثيرا عن مسaire علم اللّسانيات بمصطلحاته الجديدة وفروعه المتجددة؟ وهل أدرك اللّسانيون العرب ما أدركه الغربيون عن المكانة الهامة التي تحتلها بحوث المصطلح ضمن الدّرس اللّساني كعلم يدرس اللّسانيات على ضوء شبكة من العلائق التواصلية الوظيفية بين كل المكونات اللّغوية التي تعمل على تطوير البحث اللّغوي العربي الحديث؟ فالمصطلح في الأصل أداة لتعريف ما تحته من المعارف فما بالك إذا تحوّل هو نفسه إلى غاية تحتاج إلى تعريف.

لقد برزت في هذا الجو المصطلحي اللّساني العربي المشحون مشكلة التّعدد المصطلحي بشكل واضح نتيجة لقيام جهات عديدة باختيار المصطلحات بصورة مبتورة عن سياقها اللّساني الحق، وضمن قواعد العربية الواضحة، مما أدى إلى وجود كلمات مختلفة للمصطلح الأجنبي اللّساني الواحد في أقطار عربية مختلفة، وكذلك في القطر العربي الواحد، بل عند المعرب الواحد. لقد اضطرب بعض المؤلفين والمترجمين كما يذكر السعران (السعران، 1990، الصفحات 36 - 37) فترجم المصطلح الأوربي بلفظ معين مرّة ثم ترجم المصطلح نفسه مرّة أخرى في نفس الكتاب بلفظ آخر. ومنهم من ترجم مصطلحين بلفظ واحد، ومنهم من دلّ بمصطلح عربي قديم محدد المعنى على تصور جديد وربما استعمله بحيث لا يتبين القارئ المقصود من الكلام. لقد كان من نتائج هذا

التنوع في المصطلحات للمفهوم الواحد دور مستقبلا في مشكلة المصطلح اللساني المعاصر سواء في مجال البحوث العلمية أو في مجال التعليم و التأليف العلمي (راشدي، 2002، صفحة 142).

بل نذهب إلى القول إلى أن اللسانيات عندنا تعاني من نقص شديد في المصطلحات، وهذا النقص عائد إلى عدم متابعة المتخصصين لهذا العلم المتنامي وإلى اعتمادهم على الكتب المترجمة. ولم ينج من هذه المشكلة أحد من العربيين. وإلى هذه المعضلة أشار عدد من الباحثين كالدكتور أحمد مختار عند نقده لكتاب الدكتور محمد الحمزاوي، والدكتور سمير استيتية عند تعرضه للمشكلات اللسانية و مشكلات التعريب وغيرهما من الكتاب.

كما برزت إلى السطح ظاهرة الإلتباس وعدم الدقة في عديد من المصطلحات من مثل « تلك التي وضعت في مقابل "sonority" ، فاستخدم لها تمام حسان "قوة السماع"، واستخدم له باكلا ورفاقه "الرنين"، واستخدم لها بسام بركة والخولي ورمزي البعلبكي "جهورية". فنلاحظ عدم الدقة في هذه المصطلحات إذ أن "Sonority" تعني الوضوح وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلح رنين لأن Sonority صفة لهيئة سماع الصوت لا لما ينتج عنه هذا الصوت» (الحيادرة، 2003، صفحة 126).

وأيضا يعد وجود المترادفات في المصطلحات الأجنبية نفسها فضلا عن اللغة المترجم إليها مشكلا دلاليا كبيرا، وذلك لأن عددا من المفاهيم العلمية قد وضع لها أكثر من مصطلح في اللغة الواحدة، وإذا تم ترجمة هذه المصطلحات المترادفة، فإن الحصيلة ستكون مصطلحات عربية مترادفة متعددة.

كما كان اختلاف لغات المصدر بين الإنجليزية والفرنسية الذي أخذ عنهما المصطلح العربي اللساني، وقد يؤخذ من المصطلح الألماني أو الروسي أو الإسباني كذلك سببا آخر في تفاقم مشكلاتنا المصطلحية، والذي كان ذلك نتاج الاحتلال

الإنجليزي والفرنسي لديارنا العربية. فإن الفرنسيين والإنجليز حين سيطروا على التعليم في بلادنا ألزمو الناشئة أن تتعلم لغتهما وجعلوها لغة العلم في المدارس العليا وكذلك في الجامعات حين أنشئت. (ضيف، 1984، صفحة 136) وأدى ذلك فيما بعد إلى « بلبلة واسعة في صوغ المصطلحات العلمية حين ترجمت وعربت، فإن بلاد المغرب تونس والجزائر والمملكة المغربية وكذلك لبنان وسوريا في الشام ترجمت وعربت عن الفرنسية. بينما عربت وترجمت مصر والعراق والأردن والسودان عن الإنجليزية، مما هيأ لاختلاف واسع في الصيغ المختارة للمصطلحات العلمية العربية

المقابلة لمصطلحات الغرب العلمية في اللغتين». (ضيف، 1984، صفحة 136)

من هذا المنظور تعد دراسة واقع المصطلح اللّساني العربي مشكلة أساسية تجاذبت جوهرها عدة أسباب، قد يكون محورها عملية التعريب ذاتها لعلم Linguistique كعلم قائم بذاته له قوالبه التي تنقل من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية. إذ كل جهة تترجم مصطلحات هذا العلم إلى العربية ترجمة منفردة وشخصية قد تبتعد عن ذلك المركز المنهجي الذي يجمع الروابط التواصلية بين مكونات هذا العلم الصّوتية والصّرفية والتركيبية والدلالية، فضلا عن انصرافنا عن روح التّراث اللّغوي العربي أثناء المعالجة.

وإلى هذا يشير عبد الرحمان الحاج صالح قائلاً: «يتصف البحث العلمي في اللّغة العربية في زماننا هذا بصفات جدّ سلبية، بالإضافة إلى ما يعرفه العصر من تكنولوجيا حديثة تطبّق على البحوث اللّغوية بنجاح تام في البلدان الراقية، ويعرف كل واحد البطء الذي يسير به وضع المصطلحات وإقرارها و حرفية هذا العمل و فرديته ومشكل ذبوع هذه المصطلحات في الاستعمال». (الطائي، 2013، صفحة www.foadtae.com) إن اللّسانيات كعلم مترجم إلى العربية لم يكتمل بعد، لا مصطلحات ولا مادة ولا منهجاً. إذ إن كل باحث يترجم هذا العلم إلى العربية ترجمة شخصية وضمن المترجمين من لا يعرف التّراث اللّغوي العربي (علوي، 2007، صفحة 117).

وفي الختام يكبر اعتقادنا في أن مشكلة المصطلح العربي اللّساني الجوهرية كما يقول مازن الوعر (الوعر، 1988، صفحة 36) هي امتداد لمشكلات العرب الثقافية الرّاهنة. تلك المشكلات المتعلقة بالهوية القومية والتّجربة الحضارية المعاصرة التي تخوضها الأمة العربية. فالمشكلة تتخذ أبعاداً أشد تعقيداً أو تضارباً، وتأتي هذه الأبعاد بالطبع امتداداً لأبعاد التجربة القومية والحضارية التي تخوضها الأمة العربية، باعتبار الأمة مجزأة مختلفة باحثة عن هوية حضارية معاصرة لا بد للغتنا أن تعاني التجربة ذاتها وبذلك تزيد همومها.

خاتمة الدّراسة ونتائجها

يمكن حصر نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

- تعددت الآراء والتّصورات حول وضع المصطلح الغربي وربطه بالماهية والمفهوم الذي يناسبه وبوظائفه المنهجية والمعرفية التي يؤديها في إطار الدّرسين المصطلحي واللّساني. ولكن القراءة الاستطلاعية لبعض جهود الغربيين التي شهدناها فضلاً عن أن كلها حول نشأة وتطور المصطلح اللّساني منذ ظهور علم اللّسانيات الحديث مع دي سوسير، تدفع بنا إلى الاعتقاد بأن تلك الجهود لبنات جادة متينة عملت جميعها على بناء ترسانة من المصطلحات اللّسانية يستحيل معها التوقف أو التعثر في سيرورة البحث اللّغوي المعاصر والذي صار يشهد كثافة أخرى من المصطلحات حول علوم لسانية جديدة مولدة ومبتكرة كالتداولية والنّحو الوظيفي وقبلهما لسانيات النّص والخطاب.
- إن أزمة وظيفة المصطلح اللّساني العربي هي امتداد لأزمة المصطلح ذاته، وهي مجموعة من الإشكالات ضبطها الكتاب وأبرزها غياب الوظيفة المبتغاة من المصطلح في إطاره اللّغوي العام في ذهنية الدّارس العربي. وسرعة شيوع وتداول المصطلح المترجم إلى العربية بين مستعمليه مما يفقده فرصة المراجعة والتّراجع فيتسبب كل ذلك في ضياع وظيفة المصطلح اللّغوي العربي.

- تنوع في مصادر المؤهلات العلمية للّسانيين يؤثر بشكل سلبي في مسألة توحيد المصطلح ومن ثم تحديد وظيفته. كما أن توزيع اللّسانيين والمتخصصين في مختلف العلوم عبر مشارب معرفية مختلفة فرنسية وإنجليزية وألمانية يزيد من اتساع الهوة بين الجانب النظري والجانب المنهجي بين أقطاب الدّرس اللّساني العربي لاختلاف الآليات التي تولد المصطلح من مجمع (معهد لغوي) إلى آخر. وأيضا لمعالجة المصطلح من زاوية فكرية تصورية مما قد يسقط هذه المعالجة في اختصاص آخر. وعلى هذا يترسخ النقاش والخلاف بين اللّسانيين السّاهرين على تنظيم وظائف المصطلح داخل المعجم.

قائمة المراجع

الكتب

- أحمد مومن (2005)، اللسانيات النشأة والتطور. ط 2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- بوطارن محمد الهادي (2008)، لخلف نوال وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية (انطلاقاً من التراث العربي والدراسات الحديثة). ط: بلا. الأردن: دار الكتاب الحديث.
- حافظ اسماعيلي علوي، وليد العناتي (2007)، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العرب. ط 1. الرباط - الجزائر: دار الأمان - منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم ناشرون.
- بن زروق نصر الدين (2011)، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة. ط 1. الابيار، الجزائر: دار كنوز الحكمة.
- السعيد شنوقة (2008)، مدخل إلى المدارس اللسانية. ط 1. القاهرة، مصر: المكتبة الأزهرية للنشر.
- شرف الدين الراجعي، سامي عيا حنا، مبادئ علم اللسانيات الحديث. تقديم عبده الراجعي. ط: بلا. الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، بلا تاريخ.
- شفيقة العلوي (2004)، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة. ط 1. بيروت، لبنان: أبحاث للنشر والترجمة والتوزيع.
- نور الهدى لوشن (2001)، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط: بلا. الأزريطة، الاسكندرية ، مصر: المكتبة الجامعية.

- شوقي ضيف(1984)، اللغة العربية في خمسين عاما (1934 - 1984) ط 1، مصر: مجمع اللغة العربية.
- عاطف فضل محمد(2011)، مقدمة في اللسانيات. ط 1. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- عبد السلام المسدي(1986)، اللسانيات وأسسها المعرفية. ط 1 تونس: الدّار التّونسيّة للنّشر.
- عبد الصبور شاهين(1993)، في علم اللغة العام. ط 6. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- غازي مختار طليمات(2000)، في علم اللغة. ط 2. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- فريد عوض حيدرة(2008)، علم اللّغة التّطبيقي. ط 1. القاهرة: مكتبة الآداب.
- فيرديناند دوسوسير(1985)، علم اللغة العام. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. مراجعة مالك يوسف المطلي. ط بلا. الأعظمية، بغداد: دار آفاق عربية.
- عبد السلام المسدي قاموس اللّسانيّات. بيروت: الدار العربي للكتاب.
- مازن الوعر(1988)، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث. ط 1. سوريا: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- محمد محمد يونس علي(2004)، مدخل إلى اللسانيات. ط 1. بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية.
- محمود السعران(1990)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ط 2. مصر: دار الفكر العربي.
- محمود عكاشة(2006)، علم اللغة ندخل نظري في اللغة العربية. ط 1. القاهرة، مصر: دار النشر للجامعات.
- مصطفى طاهر الحيادة(2003)، من قضايا المصطلح اللغوي العربي(الكتاب الأول)، نظرة في مشكلات تعريب المصطلح اللغوي المعاصر. ط 1. الأردن: عالم الكتب الحديث، ج 3.
- نادية رمضان النجار(2006)، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين. مراجعة و تقديم عبده الراجحي. ط 1. الاسكندرية ، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- محمد علي الزركان (1998)، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، دط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

المجلات

- محمد أحمد قدور (بلا تاريخ)، اللسانيات والمصطلح. مجلة مجمع اللغة العربية ج 4 المجلد 81.
- محمد زكي خضر، (2010)، خطة مرجعية لمشروع مرصد اللغة العربية، مجلة اللسان العربي، المغرب، عدد 66.
- سليمة بونعيمة راشدي (2002)، «علم المصطلح وإشكالية الاصطلاح اللساني». أعمال ملتقى اللغة العربية، يومي 19-20 ماي 2002، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة باجي مختار، عنابة، منشورات مخبر اللسانيات ودراسة اللغة العربية..

الأنترنت

- فؤاد الطائي، «اللسانيات و الترجمة». الأربعاء 11 مارس 1213، "www.foadtaee.blogfa.com".